

المعاجم اللغوية الحديثة وقضايا المدونة قراءة في مقدمة معجم "الغني الزاهر"

Modern linguistic dictionaries and issues of corpus Preface of

"Al-Ghani Al-Zahir" as a model

الباحث/ يوسف أمير

باحث بسلك الدكتوراه، مختبر الكتابات الأدبية واللسانية، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس، المغرب

Email: amarir49@gmail.com

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى التطرق لإحدى القضايا الرئيسية في الصناعة المعجمية ويتعلق الأمر بقضية المدونة اللغوية للمعجم؛ وذلك من خلال تقديم قراءة لمقدمة معجم "الغني الزاهر" لعبد الغني أبي العزم باعتباره أحد المعاجم العربية الحديثة التي تستفيد من نتائج اللسانيات الحديثة من جهة، وتحترم التقاليد المعجمية العربية القديمة من جهة ثانية، وتستثمر الوسائل الحاسوبية وما توفره من مزايا من جهة ثالثة. وعلى هذا الأساس، قسمنا المقال إلى أربعة محاور: رصدنا في الأول مراحل تكوّن مدونة الغني الزاهر وبيّنا المعايير التي تحكمت في عملية إدراج وإقصاء الألفاظ من متن المعجم. وحددنا في الثاني المقصود باللغة العربية المعاصرة وبيّنا خصائصها. وأشرنا في الثالث إلى ضوابط ومحددات اللغة العربية المعاصرة. واختص المحور الرابع ببيان منهج "الغني الزاهر" في ترتيب المقولات المعجمية. وقد اتبعنا المقاربة الوصفية التحليلية ومن جملة النتائج المتوصل إليها: أ- ضرورة الاهتمام بالمنهجية المتبعة لتكوين مدونة المعجم لأنها تلعب دورا مفصليا في تحديد جودة المعجم من عدمها. ب- استثمار معجم الغني الزاهر اللغة العربية المعاصرة لكونها تمزج بين الأصالة والمعاصرة وتمتاز بمجموعة من الخصائص التي تجعل منها لغة واصفة وملائمة لحاجيات العصر.

الكلمات المفتاح: الصناعة المعجمية، المعاجم، معجم الغني الزاهر، المدونة، اللغة العربية المعاصرة.

Abstract:

This article seeks to address one of the main issues in the lexicography, which relates to the issue of corpus by studying the preface of " Al-Ghani Al-Zahir " dictionary, as it is one of the modern Arabic dictionaries that benefit from the results of modern linguistics on the one hand, and respect the ancient Arabic lexicographic traditions on the other hand, and make use of computer tools and the advantages they provide on the third side.

On This basis, we divided the article into four axes: In the first, we monitored the stages of the formation of "al-Ghani al-Zahir" corpus and explained the criteria that governed the process of inserting and excluding words from the body of the dictionary. In the second, we defined what is meant by contemporary Arabic and explained its characteristics. And we referred in the third to the controls and determinants of the contemporary Arabic language. The fourth axis was concerned with explaining the "al-Ghani al-Zahir" approach to lexical categories order. We followed the descriptive analytical approach among the results reached: A - Attention to the methodology used to form the dictionary corpus, which plays a crucial role in determining the quality of the dictionary or not. B - Al-Ghani Al-Zahir's dictionary has invested the Arabic language because it blends the traditional and the contemporary with a set of pounds that make it appropriate to the needs of the times.

Key words: Lexicography, dictionaries, "Al-Ghani Al-Zahir " dictionary, corpus, contemporary Arabic language

مقدمة:

يُعد "الغني الزاهر" معجماً لغوياً حديثاً صدرت طبعته الأولى سنة 2013 يضم بين دفتيه مفردات اللغة العربية القديمة والمعاصرة ولغة الأدب والصحافة في سياق دلالتها ومضامينها الحقيقية والمجازية. وقد صدر عن دار الغني للنشر ويقع في أربعة مجلدات من القطع المتوسط، يصل عدد صفحاته إلى أزيد من 3600 صفحة. رتب على نمط الترتيب الأبجائي النطقي مع تقديم جذر الكلمة بين معقوفتين بعد المدخل الرئيس مباشرة. والملاحظ أن متن المعجم قسم إلى أبواب بحسب عدد حروف الهجاء في اللغة العربية، بدءاً بحرف الهمزة وانتهاء بالياء، وكل صفحة تقسم إلى عمودين، ويتضح لمتصفح المعجم أنه يتميز بطبعة أنيقة، ومُشكل بالشكل التام، ويعتمد اللون الأحمر لتمييز المداخل عن التعريف المعجمي، كما يشتمل على جل الوسائل الإيضاحية المعتمدة في المعاجم الحديثة: الصور والرسوم واللوحات الفنية والخرائط والاستشهادات الإيضاحية...

ومن المعلوم أن تأليف المعاجم يمر بمراحل محددة بدءاً بجمع المادة اللغوية، مروراً بشرحها وتصنيفها وترتيبها، وصولاً إلى نشر النتائج النهائي في صورة كتاب. وعليه، فإن تحديد المادة اللغوية أو ما يسمى بالمدونة (corpus) في عرف المعجميين (lexicographers) هو المنطلق الأساس لإنجاز المعجم كيفما كان نوعه وغايته. والمدونة المستعملة من المحددات الهامة التي تتحكم في جودة المعجم أو قصوره وضعفه إلى جانب كل من طريقة ترتيب المداخل والمعاني وطرائق التعريف...؛ إذ إن المعجمي الذي ينطلق من مدونة تنضبط لمعايير الصناعة المعجمية الحديثة لا شك أنه سيتجاوز مجموعة من المزالق التي قد يكون اضطراب وقصور المدونة سبباً رئيساً فيها. فما طبيعة المدونة اللغوية لمعجم الغني الزاهر؟ وما مصادرها؟ وما الفئدة التي يستهدفها؟ وما منهج ترتيبها؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال النظر في مقدمة معجم "الغني الزاهر" باعتبارها مفتاحا هاما لبيان مختلف المراحل والخطوات التي مر منها أبو العزم، وكذا المبادئ النظرية والأطر المرجعية التي استند إليها لكي يقدم لنا نتاجه النهائي.

أهداف البحث:

- الإشارة إلى بعض قضايا الصناعة المعجمية العربية خاصة المرتبطة بالمدونة اللغوية للمعجم؛
- تحديد المنهجية المتبعة في تشكيل مدونة معجم "الغني الزاهر" وبيان المعايير والشروط التي تتحكم في إدراج أو إقصاء الألفاظ اللغوية من المعجم؛
- تحديد المقصود باللغة العربية المعاصرة، وإبراز خصائصها وسماتها.

الفرضية:

نفترض أن إنجاز معجم جيد يلبي حاجيات مستعمليه في العصر الحديث لا يمكن أن يتم بإعادة نقل المداخل المعجمية الواردة في المعاجم التراثية والاكتفاء بإجراء تعديلات تتمثل أساسا في إدراج بعض الألفاظ المستحدثة وإقصاء الألفاظ المهملية عبر الاستناد فقط إلى حدس صانع المعجم وذوقه، بل ينبغي أن يؤسس المعجم على مدونة لغوية تبنى وفق منهجية معجمائية دقيقة، وتراعي مجموعة من الاعتبارات كالغرض من المعجم والفئة المستهدفة ووقت الإنجاز وحجم المعجم من جهة، وتستفيد من نتائج اللسانيات الحديثة والوسائل الحاسوبية من جهة ثانية.

1- معجم "الغني الزاهر" وبناء المدونة اللغوية:

إن المتصفح لمعجم "الغني الزاهر" سيلحظ أنه يشتمل على مادة لغوية وفيرة تغطي مجالات معرفية متنوعة لكون المعجم يستهدف فئة عريضة من المستعملين؛ فهو موجه لطلاب الجامعات والأساتذة الباحثين والكتاب والصحافيين ولمن يروم تعلم اللغة العربية بصفة عامة كيفما كان مستواه المعرفي، ولعل هذا ما جعل مداخله تصل إلى حوالي 65880 مدخل، وهذا طبيعي لأن وظيفة هذا المعجم لا تنحصر في شرح الألفاظ الغامضة وبيان معانيها لتحصيل المعرفة اللغوية، "بل إلى اكتساب المعرفة بأساليب العربية وبلاغتها ومجازاتها، والتمكن من الدقة في التعبير والكتابة" (أبو العزم، 2013، المقدمة، ص XI)

ويُعد "معجم الغني" الصادر عن شركة صخر في قرص مدمج نواة "المعجم الغني الزاهر" وهو معجم بلغ عدد مداخله 30.000 مدخلا وكان متوجها بالأساس إلى طلاب المدارس في العالم العربي؛ وقد تم تحديد مداخل معجم "الغني" في ضوء مدونة لغوية مكونة من مؤلفات ونصوص أدبية شعرية ونثرية مقرررة، بالإضافة إلى نصوص حرة لها صبغة التداول. وقد أدت عملية جردها إلى استخلاص رصيد لغوي، وجدنا طائفة كبيرة من مفرداته لا وجود لها في المعاجم، بالإضافة إلى معان جديدة، ومصطلحات أدبية وعلمية؛ وفي أثناء عملية الجرد تم تحصيل ذخيرة من الاستعمالات والاستشهادات تم إغناؤها بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأقوال مأثورة، وأمثال ومتلازمات متداولة في أغلب الكتابات" (أبو العزم، ص XI).

لقد أسس أبو العزم معجم "الغني الزاهر" على مدونة "الغني" وضاعف عدد مداخله؛ حيث وسع مدونته اللغوية وأضاف إليها رسيدا لغويا كبيرا مستمدا من مختلف المعاجم قديمها وحديثها من جهة،

والتراث الشعري والنثري والعلوم الحديثة ومواد المجامع اللغوية (دمشق، والقاهرة، والعراق، والأردن، ومكتب تنسيق التعريب...) من جهة أخرى يقول أبو العزم في معرض حديثه عن المصادر المعتمدة في تشكيل المدونة اللغوية للغني الزاهر: اعتمدت على "أمهات الكتب والدواوين الشعرية والنصوص الروائية والقصصية، والمقالات الأدبية، بالإضافة إلى مجمل المعلومات المرتبطة بالمصطلحات العلمية والأدبية، وعلوم الطبيعة من حيوانات ونبات، وعلوم الدين ومذاهبه،

والفيزياء والكيمياء والطب والفلك والجغرافيا والتاريخ" (أبو العزم، ص X) ، علاوة على ذلك، أضاف العديد من الألفاظ المهملة التي وردت في بعض النصوص والتي تشكل جزءا من التراث العربي سواء أكانت متضمنة في نصوص شعرية أم لها علاقة مع مجالات معرفية أخرى كالدين والفقه والفلسفة...، وحرص أيضا على تطعيم معجمه بالألفاظ المتداولة باختلاف أنواعها (مولدة، دخيلة، معربة، عامية) وعمل على كتابة الألفاظ الأجنبية لاتينية أو يونانية بالحرف اللاتيني تجنباً لكل التباس ممكن، أما الألفاظ الدخيلة فقد تم إخضاعها للقوالب الصرفية العربية ومن أمثلتها "تمغرب" "تقرنس" "تنصر"... ويرد المؤلف سبب إثراء المدونة اللغوية بهذه الألفاظ إلى إيمانه بأن "الاقتراض اللغوي عامل من عوامل تطور اللغة، ولأن تداخل اللغات فرضته علاقات تاريخية وحضارية قديما وحديثا لسد حاجيات الإنسان للتعبير عن المحدثات والمستجدات" (أبو العزم، ص XXXI) ، ونجد المعجم يضم - إلى جانب ما سبق- لائحة للرموز والمختصرات المستعملة، والأعلام الوطنية للدول ولائحة بأسماء الأديباء والكتاب الواردة أقوالهم في متن المعجم والذين بلغوا حوالي 400 اسم صنفها المؤلف حسب الأسماء الشخصية، ثم العائلية مع بعض الاستثناءات ذات العلاقة بالشهرة على حد تعبيره.

إن المدونة اللغوية للمعجم غالبا ما تُشكّل من نصوص مكتوبة أو منطوقة يتم إدخالها إلى الحاسب الآلي مما ينتج عنه إنجاز قواعد بيانات مصممة خصيصا للتعامل مع النصوص، واعتماد مدونة لغوية بهذه الطريقة له مميزات كثيرة أجملها أبو العزم فيما يلي:

- تقديم شبكة هائلة من المعاني للمفردة الواحدة؛
- الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي؛
- حصر المتواتر في الاستعمال ووضعه في مكانه المناسب؛
- حصر التحولات الدلالية والمعجمية التي تخضع لها بعض المداخل في ضوء شواهدها؛
- ترتيب المعاني حسب النادر أولا، ثم الشائع داخل المدخل (أبو العزم، ص XIII).

يتضح مما سبق، أن المدونة التي استعملها أبو العزم لإنجاز معجم الغني الزاهر تنسم بالغنى وتنوع المصادر والانفتاح على ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية وكل ما من شأنه أن يسعف مستعمل المعجم في فهم النصوص قديمة كانت أو حديثة، وتُستثمر التقنيات الحديثة من حاسب آلي وبرامج معلوماتية لتحديد مختلف استعمالاتها، ولعل هذا ما يميزه عن باقي المعجم الحديثة وبعضها المؤلف نفسه بقوله: " وإذا كانت أغلب المعجم التراثية لم تقف عند المتداول، فلأنها خضعت في تصورها لمفاهيم لغوية ضيقة، أملت ظروف تاريخية وايديولوجية، ما جعلها تصرف النظر كلية عن المولدات والدخيل، إلا ما كان من ألفاظ قليلة وجدت في نصوص شعرية" (أبو العزم، ص VIII) ، ويلاحظ بأن المؤلف لا يتفق مع هذه التصورات الضيقة في تحديد المدونة اللغوية، ويرى أن الوظيفة المعجمية تفرض توفر المعجم على كل ما جدّ من الألفاظ الحضارية والعلمية "سواء كانت مولدة أم معربة أم دخيلة أم عامية في حالة تداولها وتواترها، لأن الحاجة إلى معجم حديث يتضمن جل ما هو متداول،

أضحت ملحمة أسوة بكل معاجم اللغات الأجنبية، ولمسايرة التطور العلمي الهائل الذي اكتسح كل الميادين" (أبو العزم، ص XIII)

لا جدال في أن المعاجم العربية القديمة غلبت عليها النظرة المعيارية؛ التي تعمل على جمع ألفاظ اللغة وفق معايير محددة سواء على مستوى الزمان أو المكان؛ إذ غالبا ما كان يتم الاستشهاد بالألفاظ المنتمية إلى عصور الاحتجاج وإهمال غيرها من الألفاظ المستحدثة، وهذا ما يجعل المستعمل للمعاجم التراثية يلحظ انفصالا كبيرا بين مداخلها والحياة العامة؛

حيث نجد غيابا كبيرا لألفاظ الحضارة والألفاظ المستحدثة، ولعل ذلك ما جعل اللغويين العرب المحدثين يهتمون بوضع معاجم تستفيد من التراث المعجمي العربي من جهة، وتفتح على ألفاظ الحضارة بكل فروعها لتواكب التطور اللغوي الذي تعرفه اللغة العربية من جهة ثانية. والمتصفح للمعاجم الحديثة كالمنجد في اللغة العربية المعاصرة، والمعجم الوسيط، والمعجم العربي الأساسي سيجد أن مؤلفيها قد أولوا اهتماما كبيرا للألفاظ المستحدثة. ومعجم "الغني الزاهر" سار على نفس المنهج واختار واضعه أن يضمّنه - زيادة على ما سبق- جزءا من الألفاظ المتجاوزة في كتابات العصر الحالي معللا رأيه بأنها ألفاظ تبقى من صلب اللغة العربية، وقد وردت في التراث العربي بشعره ونثره، والفهم الجيد لهذا التراث يقتضي تحديد الدلالات المتنوعة للألفاظ التي كتب بها سواء كانت مستعملة في العصر الحالي أو لا.

إن هذه النظرة التي تجمع بين ما هو تراثي ومعاصر ناتجة عن اعتبار المؤلف بأن "الغة العربية تشكل وحدة كلية مفتوحة على كل جديد ومحدث، وقابلة للتطويع والتكيف مع أحداث العصر في صيرورة تطورها، وهذا التطور بطبيعة الحال لا يلغي بالضرورة كل ما هو قديم، لكونه حاضرا وملحا في حياة المجتمع العربي" (أبو العزم، ص XI)، أما بالنسبة للألفاظ المندثرة والتي لم يعد يستعملها أحد ولا تفيد في شيء فلا نجد لها أثرا في معجم الغني الزاهر، ولا حرج في ذلك وإن كانت أيضا من صميم اللغة العربية ومن الممكن جدا إعادة إحيائها من جديد في المستقبل لتحمل معاني جديدة.

بناء على ما سبق، يمكن القول إن مدونة معجم "الغني الزاهر" تتسم بالمزج بين الألفاظ التراثية والألفاظ المستحدثة ومعيار اختياره للألفاظ هو الشبوع والحدس المعجمي ويطلق المعجميون على هذا النمط من اللغة اسم "اللغة العربية المعاصرة". فما المقصود بها؟ وما أبرز خصائصها؟

2- في تعريف اللغة العربية المعاصرة

إن الحديث عن اللغة العربية المعاصرة يقتضي بالضرورة تحديد مدلولها؛ ونجد أن هذا المصطلح قد عُرّف تعريفات عدة؛ ومنها تعريف الدكتور أحمد مختار عمر؛ إذ يقول: "ولا يعني وصفنا اللفظ بأنه من الرصيد المعاصر أنه استجد في العصر الحديث، وإنما يعني أنه مستعمل في العصر الحديث حتى لو كان قديما" (مختار عمر، 2000، ص 17)، أما الدكتور محمد حسين عبد العزيز فيجدها بقوله: "الغة فصحي، مكتوبة تستخدم في التعليم، وفي العلم والأدب وفي الصحافة، وهي اللغة الرسمية المشتركة في العالم العربي اليوم" (حسين عبد العزيز، 1995، ص 136). ويرى فانسان مونتيل (Vincent, monteil) في كتابه "اللغة العربية المعاصرة" أن هذه اللغة ليست أداة الاستعمال الكتابي فقط، وإنما هي لغة الاستعمال الشفوي كذلك في الحياة اليومية كما يتجلى ذلك في "التعليم والإدارة والسياسة... لغة حية تحيل على حاجة حيوية"¹، إنها لغة مفهومة ومألوفة لا يمكن

1 - Vicent Monteil : L'arabe Moderne. P.18.

الاستغناء عنها، فهي أولاً: ترتبط بالكلام أي الاستعمال الفعلي أكثر مما ترتبط باللغة كمنظومة فكرية تنضبط وفق قواعد محكمة. ثانياً، الرواج الذي تحقق لهذه الفصحى تم عن طريق أداتين قويتين: الصحافة فيما يتعلق بالمكتوب والإذاعة والتلفزة بالنسبة للمستوى المنطوق. ثالثاً، ظهور معجم تبتعد مفرداته - قليلاً أو كثيراً- عن الاستعمالات التقليدية مثل سيارة وقطار ومحطة...، نحن إذن، أمام لغة جديدة تكلفت وسائل الإعلام بنشرها وجعلها مألوفة وهي ترتبط بأكثر من سبب "بالفصحى العالية.. لها قواعد تنظمها ليست مهلهلة كالعامة أو عسيرة كالفصحى العالية... التي ينفر من كتبها أو يجهلها أكثر المثقفين"².

نستنتج من التعريفات السابقة أن اللغة العربية المعاصرة تتميز بالخصائص التالية: توظيف الألفاظ التراثية المستعملة في العصر الحديث-اعتماد الكلمات المستحدثة في العصر الحديث-فصحى- مشتركة- علمية- متداولة على نطاق واسع. ويمكن توضيح هذه الخصائص فيما يلي:

- أ- **فصيحة:** إذ اللغة العربية المعاصرة ليست لغة جديدة منقطعة الصلة بلغة العرب التراثية، بل ترتبط بها ارتباطاً عضوياً؛ حيث لا تزال مرتبطة بالشكل الكلاسيكي للغة العربية سواء من حيث الحروف أو طريقة التأليف بين ألفاظها، وشروط هذا التأليف، وكذا طرائق بناء المعاني، وتتبع نفس القواعد الموضوعية لها رغم ما أصابها من تغير على مستوى البنى الدلالية والصرفية والأسلوبية بنسب متفاوتة. والمقارن للبنيتين اللغويتين لكل من اللغة العربية المعاصرة واللغة التراثية سيجد تطابقاً شبه كلي بينها.
- ب- **مشتركة ومتداولة:** إن هذه السمة تجعل من اللغة العربية المعاصرة لغة تنحو إلى الدقة والوضوح والابتعاد عن اللهجات المتعددة التي تغرق المعجم في المرادفات ما ينتج صعوبات في التواصل بين متكلمي اللغة العربية أنفسهم. إنها لغة بسيطة وواضحة ومشتركة ومتداولة بين متكلمي العربية كلهم؛ ومن المعلوم أن اللغة العربية قد عرفت مشروعين أساسيين حاولوا وضع لغة مشتركة للمرحلة الابتدائية وهما تجربتا "الرصيد اللغوي الوظيفي" و"الرصيد اللغوي العربي". يقول مؤلفو الرصيد اللغوي الوظيفي: "نعتناه بالعربي الوظيفي؛ إذ هو يحتوي على ألفاظ أساسية يحسن أن نعتبرها بعيدة عن الإقليمية المغربية "ويضيفون" أن هذا الرصيد قائمة تؤدي مشاغل الصبيان العرب المغاربة وحاجاتهم..."³. وسارت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على نهج دول شمال إفريقيا التي أنجزت مشروع الرصيد اللغوي الوظيفي، وعملت على توسيعه وتطويره ليصبح قومياً، معتبرة أن هذه الخطوة هي إحدى ركائز إصلاح تعليم اللغة العربية. إن الهدف من اعتماد لغة عربية مشتركة هي تحقيق أكبر قدر من التواصل بين متكلمي هذه اللغة بعيداً عن اللهجات الإقليمية والمحلية، كما أنها تمنح فرصة للناطقين بغير العربية لتعلمها دون الخوض في مشاكل تعلم اللهجات المتنوعة.
- ج- **علمية:** فهي لغة واضحة وتُعتمد في مختلف الأطوار الدراسية، ويعتمدها المؤلفون لتسجيل أعمالهم الإبداعية وكتابة أبحاثهم.

25- حسن، محمد كامل: اللغة العربية والحداثة. ص. 2. (نقلا عن عباس الصوري، الرصيد المعجمي الحي، ص 104)

3- العايد، أحمد: معجم الأطفال الأساسي المصور الثنائي. مجلة "اللسان العربي" العدد 83/20- ص 104. نقلا عن عباس الصوري، الرصيد المعجمي الحي، ص 64.

د- **منفتحة على ألفاظ الحضارة بكل أنواعها:** حيث إنها متأثرة بالألفاظ الحضارية المستعملة في كل المجالات الثقافية وهذا ما جعلها تطعم متنها بالألفاظ الأجنبية مولدة، ومعربة ودخيلة وعامية بحيث نستطيع تسمية "الأشياء التي نراها، أو نقرأها، أو نتعامل معها ونريد التعبير عنها" (بريسول وبنعمر، 2007، ص 95).

ه- **تجمع بين الأصالة والمعاصرة:** إنها لا تحصر ألفاظها في الكلمات المستحدثة فقط، وإنما تجمع بين الألفاظ المستعملة "الحية" بمستوييها التراثي والحديث؛ ولا يقصد بالمعاصرة إهمال القديم، بل يتم إدراجه في المعجم متى ما كان مستعملاً وغير مهجور. ولتحقيق هذا المبتغى فعلى المعجمي أن يخصص حيزاً مهماً للمصادر الحديثة والمعاصرة أثناء إنجاز المدونة اللغوية بحيث تضم الكتب والمجلات والدوريات وكل ما هو رائج في وسائل التواصل الاجتماعي والمدونات الإلكترونية واللغة المعتمدة في الإعلام المرئي والمسموع...

لقد أثبتت مجموعة من اللغويين أن المعاجم اللغوية التراثية للغة العربية ظلت قاصرة على التعبير عن متطلبات العصر اللغوية من الألفاظ المستحدثة والمصطلحات العلمية الضرورية وهو ما حاول المعجميون المعاصرون تجاوزه؛ إذ عملوا على إدراج هذه الألفاظ في معاجمهم وإن بنسب متفاوتة إلا أنها مع ذلك حاولت أن تقلص الفرق الكامن بين الوحدات المعجمية المدرجة في المعجم وبين الواقع؛ بحيث إن مستعمل المعجم يمكن أن يفهم الواقع المعاصر انطلاقاً من الدلالات المستحدثة التي تم تطعيم المعجم اللغوي بها، وهذا ما جعل المعاجم المعاصرة تتناسب وحاجيات المستعملين اللغوية.

3- اللغة العربية المعاصرة الضوابط والمحددات

لقد ألف المعجميون العرب معاجمهم تبعاً لمجموعة من الشروط والضوابط ونظروا إلى متن اللغة نظرة معيارية تقوم أساساً على إقرار الألفاظ التي تطابق نظام اللغة العربية صوتاً و صرفاً ونحواً، وإثبات كلام العرب في عصور محددة (عصر الاستشهاد) - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً - ما يعني أنهم وضعوا قيوداً وشروطاً معينة لقبول الألفاظ وإدخالها في متن المعجم، وكل لفظ لا ينضبط للشروط التي وضعوها كان يرفض ما أدى إلى ترك مجموعة من الكلمات المولدة، أما المعجميون العرب المحدثون فنظرتهم مخالفة لمن سبقهم؛ حيث توسعوا في قبول الألفاظ المحدثّة، وقبلوا مجموعة من الألفاظ التي رفضها القداماء وهذا ما نجد عليه رأي أغلب المعجميين كأحمد مختار عمر وأحمد فارس الشدياق وعبد الغني أبو العزم... إذ يعتبرون أن اللغة كائن حي يتطور بتطور الحياة، ومن ثم نجد أحمد مختار عمر في مؤلفه "أنا واللغة والمجتمع" يورد ما يلي "يرى الشدياق أن اللغة بنت الحياة، ويعتقد أنه من غير المعقول أن تكون اللغة قد نشأت دفعة واحدة، وإنما عن طريق التطور والنمو" (مختار عمر، 2002، ص 215). ويذهب أبو العزم في نفس الاتجاه؛ ويؤكد على أن اللغة تتطور ومعيار إدراج لفظة في المعجم هو الانتشار والشيوع على الألسنة ويرى أن "تواتر الألفاظ واستعمالاتها اليومية أحد المعايير الأساسية المعتمدة في المنهجية المعجمية" (أبو العزم، 2013، ص XXXI)

4- منهج تصنيف المادة اللغوية في المعجم:

صرح الدكتور أبو العزم في مقدمة معجم "الغني الزاهر" بنمط الترتيب الذي اعتمده، وحدد الدوافع والغايات من هذا الاختيار، ومتصفح هذا المعجم سيلاحظ بأن مداخله قد رتبته وفق الترتيب الألفبائي الخاضع لنطق الألفاظ، رغم أن هذا النمط الترتيبي ما زال ينظر إليه بنوع من الحذر بذريعة أنه يفقد اللغة العربية وحدتها وخصائصها القائمة على الاشتقاق مع العلم أنه ترتيب سبق أن اعتمده معجميون آخرون قداماً ومحدثون؛

فإذا تأملنا التراث المعجمي سنجد جار الله الزمخشري قد سبق إلى اعتماد الترتيب الألفبائي حسب نطق الألفاظ في معجم "أساس البلاغة"، كما استعمله أيضا عبد الله العلياني في معجمه "المرجع" وهذا الترتيب هو الذي كان أساس الثورة المعجمية للمعجم الغربية.

إن طريقة ترتيب مواد المعجم تابعة للغرض منه، ولكيفية نظر المعجمي لألفاظ اللغة، كما أنه لا مفاضلة بين سائر الأنماط الترتيبية، فلكل وظيفة وأهميته، والمعجمي هو الذي يحدد الترتيب المناسب لمعجمه تبعا للهدف الذي يحدده. ويبدو أن أبا العزم قد برر اختياره بقوله: "المادة اللغوية الواردة في المدونة المعتمدة تقدم مجمل الكلمات في تعابير ذات استقلالية، حيث تحتاج إلى شرح مستقل، وهذا ما يفرض توزيعها وفق نطقها، ووضعها في مكانها الترتيبي على حدة، ولأن سياق التعبير يدعو المعجماتي للحفاظ عليها كما هي، ليتمكن من التعريف بها، وشرحها بغض النظر عن كونها تنتمي لمادة لغوية ذات جذر واحد" (أبو العزم، 2013، ص XIII)، علاوة على ذلك، فإن هذا النمط الترتيبي يقوم - حسب المؤلف - بوظيفة تعليمية ومعجمية في الآن نفسه؛ فالمؤلف كان يستحضر -دائما أثناء قيامه بإنجاز المعجم- المتلقي وقدراته المعرفية ما جعله يبني عمله على التيسير لا التعسير، وعمل على إيجاد كل الأدوات التي من الممكن أن توصل المعرفة بسهولة وتلقائية. ومن المفيد القول بأن المؤلف وإن اعتمد الترتيب الألفبائي حسب النطق وعدّ المداخل مستقلة بذاتها، إلا أنه لم يغفل تحديد جذورها وذلك بوضعها بين معقوفتين للحفاظ على الخصائص المميزة للغة العربية باعتبارها لغة قائمة على الاشتقاق، وكذا لتجنب أي انتقاد محتمل في هذا الجانب.

قد يقول قائل إن الترتيب بحسب الجذر يقدم خدمة هامة للقارئ تتمثل في تجميع العائلة اللغوية وتحديد دلالاتها والعلاقات القائمة بينها ما سينعكس على طبيعة التعريفات التي ستقدم في المعجم؛ ذلك أنها ستقصر وستكون سهلة التداول. لكن السؤال الذي يطرح في هذا السياق هو ما مدى قدرة مستعملي المعجم على تحديد جذور الكلمات؟ وهل هناك اتفاق تام حول هذه الجذور؟

إن الوضع اللغوي الحالي لمكلمي اللغة العربية يؤكد أن تحديد جذور الكلمات ليس بالأمر السهل حتى بالنسبة للمختصين، سيما وأن كثيرا من الألفاظ المعرّبة لا جذور لها أو يصعب تحديد جذورها الحقيقي حتى إن هناك من الكلمات ما وقع خلاف بين علماء اللغة حوله من ذلك الكلمات التالية: ميناء، سنتمتر، رادار...، أما غير المختصين فالأمر لا يحتاج إلى توضيح؛ إذ يصعب عليهم تحديد الجذور اللغوية للكلمات، في حين أن الترتيب الألفبائي يسهل أمر البحث عن الكلمات في المعجم لجميع المستعملين وإن ساهم بشكل كبير في تضخيم حجم المعجم الذي وصل عدد أجزائه إلى أربعة.

ومهما يكن من أمر، فإن الترتيبين معا (الجذري والألفبائي) قد عرفهما المعجم العربي خلال مراحل تطوره والحال أن كلا منهما يكمل الآخر ولا يتجاوزهما، بل لكل مكانه وغاياته ومجال اشتغاله، وقد تبني المؤلف الترتيب الألفبائي الخاضع لنطق الألفاظ وطعمه بذكر الجذور ليجمع بين مزايا الترتيبين معا؛ سهولة البحث عن الكلمات في المعجم من جهة، والحفاظ على الخصائص الاشتقاقية للغة العربية بذكر جذور الكلمات من جهة ثانية. وهذا ما أشار إليه بقوله: "هذا النمط يؤدي من جهة وظيفة تعليمية بمادته اللغوية، ومن جهة أخرى، وظيفة معجماتية، وكلتا الوظيفتين تخضعان لقيود صارمة ودقيقة، تمكن المتلقي من الارتباط بلغته لتنمية معارفه بها، ولأن تبسيط المعرفة باب من أبواب العملية البيداغوجية، ولأن من مهام المعجم جمع شتات مفردات اللغة، وترتيبها ترتيبا منطقيًا، للتمكن من تعريفها تعريفا مستقلا بذاتها،

ومن إيجابيات ترتيب الكلمات حسب نطقها أن المعجم يشير إلى جذورها بين معقوفتين []، وإلى قوالها الصرفية، مما يحافظ على الخصائص اللغوية لطبيعة اللغة العربية القائمة على الاشتقاق بشكل مباشر، وبلغى ما يعتبره المحافظون إساءة إلى اللغة" (أبو العزم، 2013، ص XIV).

لا شك أن من مميزات معجم "الغني الزاهر" تقديمه للألفاظ وفق طبيعتها وقالبها الصرفي، أفعالا وأسماء ومصادر وفواعل ومفاعيل عبر تخصيص مدخل مستقل لكل مقولة معجمية؛ "فقد أصبح من ضروريات الصناعة المعجمية أن تسجل مع المداخل الدلالات الصرفية في الأسماء كاسم الفاعل، واسم المفعول، والمصدر... والعلاقات التي تربط المدخل بغيره وظيفيا كعلامات التأنيث أو الجمع أو النسبة... قبل الشروع في التعريفات الشارحة المفسرة؛ لأن تسجيل هذه الدلالات هو تسجيل لمعان بشكل مكثف، وهو ربط للصيغة الواحدة بتعدد مدلولاتها" (جورج متري، 2006، ص 12)، وهذا من شأنه توسيع المعرفة اللغوية لمستعمل المعجم.

-منهج الغني الزاهر في ترتيب المقولات المعجمية:

1.4. الأفعال:

تقدم وفق حروفها الأولى ولا تجرد من حروف الزيادة، ويقدم اللازم على المتعدي كما تمت الإشارة إلى تصنيفات أخرى ترتبط بالأفعال وهي:

- يشير المعجم إلى اللزومية والتعدي؛
- يشير إلى المضارع لتبيان عين الفعل؛
- تقدم المصادر الخاصة بكل فعل مرفوعة.

2.4. الأسماء:

- تعامل المعجم مع الأسماء وفق مجال اشتغالها سواء كانت نباتا أو حيوانات أو جمادا، وتم تحديد فصائل ورتب كل من الحيوانات والنباتات وتعريفها عبر تحديد خصائصها ومميزاتها.

3.4. المصادر:

- تقدم وفق اشتغالها، مع حصر لدلالاتها، وقد وردت المصادر مرفوعة وهذا ما لم تقم به المعاجم التراثية.

4.4. الفواعل والمفعولات:

- تقدم أيضا تبعا لاشتغالها في النص، مع حصر لدلالاتها، والإشارة إلى أفعالها.

5.4. الأبنية اللغوية:

- حدد معجم الغني الزاهر صيغ الأبنية اللغوية وبين دلالاتها خصوصا التي تتسم بالاطراد لكونها تساعد مستعمل المعجم على استيعاب معنى المدخل، وقد تم حصر هذه الأبنية فيما يلي: أفعال، فاعل، فاعل، فعّال، فعيل، فعّل، فعّل، فعول، مفعال، مفعّل، مفعلة (أبو العزم، 2013، ص XIV)

6.4. المجموع:

- لقد تعامل معجم الغني الزاهر مع المجموع باعتبارها مداخل قائمة الذات، وعززها بالشواهد لبيان دلالاتها الخاصة.

7.4. تاء التأنيث في المعجم:

- من المعروف أن المعاجم التقليدية كانت تلغي من مداخلها ومشتقاتها ما ينبغي تأنيثه وتكتفي بالمذكر فقط، غير أن معجم الغني الزاهر أضاف تاء التأنيث لبعض الصيغ للتفريق بين المذكر والمؤنث، وقد حددت هذه الصيغ فيما يلي: فاعل(ة)، ومفعول(ة)، وفعل(ة)، وفعل(ة)، وفعلان(ة)، ومفعال(ة) بجانب جموعها. ويبرر المؤلف اهتمامه بتاء التأنيث " تداول تاء التأنيث في الخطاب المعاصر، ولحوقها للصفات وجموعها، حيث لم يعد مفيدا تجاوزها أو إلغائها" (أبو العزم، 2013، ص XVII).

نتائج البحث:

لقد حاولنا من خلال ما سبق، النظر في بعض القضايا المرتبطة بالمدونة اللغوية للمعجم الحديث؛ وذلك من خلال الاستناد على مقدمة معجم الغني الزاهر لمجموعة من الأسباب -التي سبق لنا ذكرها- والخلاصات التي توصلنا إليها من دراسة هذه المقدمة هي التزام أبي العزم بمختلف المبادئ الرئيسة للمعجمية الحديثة، وبشروط التأليف المعجماتي ومبادئه، ويمكن بيان ما يرتبط منها بمسألة المدونة من خلال العناصر التالية:

- تحديد الفئة المستهدفة من المعجم؛ لقد التزم أبو العزم بتحديد الفئة المستهدفة من المعجم فقد أشار لاستهدافه فئة عريضة من المستعملين؛ فهو موجه لطلاب الجامعات والأساتذة الباحثين والكتاب والصحافيين ولمن يروم تعلم اللغة العربية بصفة عامة كيفما كان مستواه المعرفي وإن كانت هذه الفئة عريضة جدا إلا أن تحديدها كان موقفا وجعل المؤلف ينحو في عمله إلى الدقة والصرامة المنهجية؛ لأن تحديد القارئ المستهدف كان له تأثير كبير على الضوابط والقواعد التي تبنها المؤلف أثناء تحديد المدونة اللغوية التي تشكل منها المعجم.

- تحديد الرصيد اللغوي للمعجم وفقا لمعايير منهجية دقيقة، وخلفية نظرية لسانية تمتح من الوظيفية؛ فقد تبين لنا أن أبا العزم اهتم بتحديد الرصيد اللغوي لمعجم الغني الزاهر، تأسيسا على خلفيات نظرية ومنهجية محددة، ما جعل مدونته تتسم بالغمى وتنوع المصادر والانفتاح على مختلف ألفاظ الحضارة والمصطلحات والألفاظ المستحدثة، ومعنى هذا أن المؤلف لا يتفق مع التصورات الضيقة في تحديد المتن اللغوي الذي تحصره على مستوى الزمان (عصور الاستشهاد)، والمكان (شبه الجزيرة العربية)، ويؤكد أن الوظيفة المعجماتية تفرض توفر المعجم على كل ما جد من الألفاظ سواء كانت مولدة أم معربة أم دخيلة أم عامية -في حالة تداولها وتواترها-، لأن الحاجة إلى معجم حديث يتضمن جل ما هو متداول أمر لا محيد عنه. لهذا وجدنا الرصيد اللغوي لمعجم "الغني الزاهر" يمزج بين الألفاظ التراثية والألفاظ المستحدثة ومعيار اختيار الألفاظ كما بينا ذلك هو الصحة والشيوع والحدس المعجمي. إن اتباع المؤلف لخلفيات نظرية لسانية، وتحديد منهجية عامة للعمل ساهم في تضيق مجال الاشتغال من جهة، وأضفى نوعا كبيرا من التماسك على المدونة اللغوية للمعجم، وهذه خطوة تحسب للمؤلف؛

فقليلًا ما نجد المجزات المعجمية تستثمر نتائج علم اللغة الحديث، خاصة في جانبه التطبيقي. إن معجم الغني الزاهر باعتماده على هذه المبادئ اللسانية النظرية يشكل خطوة هامة في سبيل تطوير التأليف المعجمي العربي في جانبه التطبيقي (صناعة المعاجم).

- ضرورة الاهتمام بإنجاز المشاريع المعجمية بشكل جماعي؛ لأن الصناعة المعجمية تقتضي الاشتغال في فرق بحث متخصصة سواء في الجامعات أو في مؤسسات مستقلة، وحيدًا لو تم إنجاز المشاريع المعجمية على ضوء نتائج علم اللغة الحديث، وأن تستثمر مختلف الأرصد اللغوية المنجزة من قبل المؤسسات المهتمة؛ لأن العمل الفردي مهما بذل صاحبه جهدًا كبيرًا تكون نواقصه أكثر، أما العمل الجماعي فتقل فيه المزالق والنواقص، والعمل المستند إلى نتائج علم معين تكون فوائده جليلة. ومن ثم نلح على ضرورة الاستفادة من الأعمال السابقة لكل من يروم خوض تجربة إنجاز معجم كيفية كان نوعه والغرض منه، والمقصود بالاستفادة هنا تجاوز سلبيات من تقدم، وتعزيز إيجابياتهم وترسيخها؛ لأجل تحقيق مبدأ رئيسي يميز التفكير العلمي الرصين وهو التراكمية، إذ السقوط في نفس الهفوات التي سقط فيها السابقون واعتبار التجربة التي ستقوم بها هي نقطة البداية سيُعدُّ استهتارًا وتضييعًا للوقت والجهد.

خلاصة:

وعموماً فإن الخلاصات التي انتهينا إليها لا يمكن أن تكون مطلقة، بل مؤقتة ونسبية. فهي مؤقتة لأن هناك قابلية لإصدار طبعات جديدة من المعجم تتجاوز بعض النقائص الواردة فيه، وتضيف إليه مزايا جديدة. وهذا ما أكده لنا المؤلف في حديث معه على هامش محاضرة علمية حول "المعجم والأيدولوجيات المعاصرة" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس سنة 2018. وهي نسبية؛ لأن هذا العمل لا يعني مجموع الأعمال المنجزة في المعجم بالعالم العربي، بل هو نموذج تمثيلي فقط قد تعمم النتائج التي لاحظناها عليه على أعمال معجمية أخرى أو قد لا يحدث ذلك.

لائحة المصادر والمراجع:

- عبد الغني أبو العزم. (2013). معجم الغني الزاهر. الرباط: مؤسسة الغني للنشر.
أحمد مختار عمر. (2000). المكنز الكبير. الرياض: مؤسسة سطور للنشر.
أحمد، مختار عمر. (2002). أنا واللغة والمجتمع. القاهرة: عالم الكتب.
أحمد بريسول، وكنزة بنعمر. (2007). المعجم العربي العصري وإشكالاته. الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.
عبد المسيح، جورج ميري. (2006). في المعجم اللغوي العام. مكتبة لبنان ناشرون.
محمد حسن عبد العزيز. (1995). القياس في اللغة العربية. القاهرة: دار الفكر.
عباس الصوري. (2002). الرصيد المعجمي الحي: في بيداغوجيا اللغة العربية. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
جميع الحقوق محفوظة © 2021، الباحث/يوسف أمير، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي.

(CC BY NC)